النجاشي الملك العادل

شخصية النجاشي:

عند النظرة الفاحصة يتضح للمرء أن النجاشي شخصية فريدة في عصره يتصف بقدر كبير من الحصافة والذكاء ورجاحة العقل كما كان ذا رأي مستقل عن المؤثرات البيئية والعقدية السائدة في المجتمع الحبشي آنذاك، ولم يكن إنساناً تنقصه الشجاعة الفائقة لمواجهة المواقف الصعبة بصدق وعزيمة لا تلين ثم اتخاذ القرارات اللازمة حسبما تملي عليه الضرورة وبقدر الحاجة.

إن النجاشي استقبل ضيوفه من أصحاب رسول الله ﷺ بكل حفاوة وحرارة مما يعبر عن شهامته وكرمه، وبالطريقة نفسها رحب وفد المشركين، واستمع إليهم وأصغى إلى قصصهم بكل اهتمام وثقة، ولكنه لم يصدر حكمه على الفور كما كانت رغبة الوفد، وإنما أعطى المؤمنين المهاجرين فرصة التحدث إليه لكي يسمع من الخصم ويفهم نوع الصراع ويستوعب القضية برمتها، ويبدو أنه كان فقيهاً متمرساً في مثل تلك القضايا بحكم مركزه حيث نطق بالحق وأصاب، وما شطط فعدل وما جار وما ظلم فقال قولته المشهورة: «إن هذا والله والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكم أبداً ولا أكاد»[1].

وحين فهم هدف المشركين ونواياهم السيئة، وأن هداياهم التي قدموها إلى البطارقة إليه لم تكن سوى رشوة مقنعة، رد الهدايا التي أخذوها من

(١) الفتح الرباني، شرح مسند الإمام أحمد بن حنبل، الجزء العشرين، ص ٢٢٦ - ٢٢٩، رقم الحديث ٨٠.

المشركين قائلاً: «ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي فآخذ الرشوة فيه»[1].

إنه يشكر الله سبحانه وتعالى بتذكره نعمة الله عليه في صباه وأيام شبابه حين قتل والده من قبل أعيان الحبشة ظلماً وعدواناً ثم باعوه كسلعة رخيصة لتاجر من التجار حتى أصبح مملوكاً، ولكن الله تعالى بفضل منه ومنّه عليه رد إليه ملك أبيه، إنه موقف ذو شجون لا يمكن نسيانه ويستحق الشكر الدائم، والإنصاف للمظلومين.

وحين توّجته الحبشة ملكاً على البلاد جاء سيده ورفع إليه شكوى مفادها أيها الملك إن الحبشة باعوني عبداً فدفعت إليهم ٦٠٠ درهماً فأخذوا غلامهم ولم يعطوني فلوسي، فقال: إما أن تعطوا الرجل ماله، وإما أن أضع غلامه بيده - يعني نفسه -.

ومما يدل على شخصيته المتميزة مخالفته للبطارقة الذين يألهون عيسى بن مريم عليه السلام، حيث أقرّ أمامهم وعلى الملأ بعبودية عيسى، وبأن ما جاء به موسى وعيسى عليهما السلام هو عين ما جاء به محمد ﷺ.

إن تلك المواقف تدل على أن النجاشي كان يحمل رأياً مستقلاً وعقلاً راجحاً، وعلماً غزيراً في التوراة والإنجيل، ولم يكن مقلداً متأثراً بما يحيطه فقط من بيئة وبشر وعقيدة المجتمع يومها. كما أنه لم يكن معجباً بملكه ذلك الذي أفسد الكثيرين في مختلف العصور، وإن تواضعه الجم ودماثة أخلاقه جوانب تكمل العدل الذي اشتهر عنه، ومن هنا وظف إمكاناته الكبيرة المادية والمعنوية لخدمة الحق ومراعاة حقوق الضعفاء بصفة عامة، ومن إنصافه المدهش أنه كان يخضع للحقائق المجردة مهما تكن الظروف قاسية عليه.

إنه كان إنساناً واقعياً في تعامله مع الأحداث، عادلاً في تصرفاته وقراراته، كان شهماً كريماً مع ضيوفه الذين يقدمون إلى مملكته، شجاعاً قوياً، ومع ذلك لم يكن متهوراً في قراراته بل كانت متصفة بالحكمة والروية.

---

(١) راجع الطبقات لابن سعد، عند ترجمة النجاشي رحمه الله تعالى.

إسلام النجاشي:

النجاشي: اسمه أصحمه ملك الحبشة، معدود في الصحابة رضي الله عنهم، وكان ممن حسن إسلامه ولم يهاجر، ولا له رؤية، فهو تابعي من وجه، صاحب من وجه، وقد توفي في حياة النبي صلى ﷺ، فصلى عليه بالناس صلاة الغائب ولم يثبت أنه ﷺ صلى على غائب سواه»[1].

لقد أورد الحافظ ابن كثير رحمه الله في كتابه البداية والنهاية رواية تاريخية قوية نقلها عن ابن عساكر، والرواية من جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه مع النجاشي وصفها ابن كثير بأنها عزيزة جداً.

فبعد أن ساق الحوار الذي دار بين المهاجرين وبين وفد المشركين أمام النجاشي وفي مجلسه، والمراحل المتنوعة لهذا الحوار الطويل يقول جعفر في آخر القصة: «فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وظهر بها قلنا له: إن رسول الله ﷺ قد ظهر وهاجر إلى المدينة المنورة، وقتل الذين كنا حدثناك عنهم، وقد أردنا الرحيل إليه فردنا، قال: نعم، فحملنا وزدونا، ثم قال: أخبر صاحبك بما صنعت إليكم، وهذا صاحبي معكم، أشهد أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله ﷺ، وقل له يستغفر لي، قال جعفر: فخرجنا حتى أتينا المدينة، فتلقاني رسول الله ﷺ، واعتنقني، ثم قال: «ما أدري أنا بفتح خيبر أفرح أم بقدوم جعفر؟!! فوافق ذلك فتح خيبر، ثم جلس فقال رسول النجاشي: هذا جعفر فسله ما صنع به صاحبنا؟ فقال: نعم فعل بنا كذا وكذا وحملنا وزودنا، وشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وقال لي: قل له يستغفر لي، فقام رسول الله ﷺ فتوضأ ثم دعا ثلاث مرات: «اللهم اغفر للنجاشي» فقال المسلمون: آمين، ثم قال جعفر: فقلت للرسول: انطلق فأخبر صاحبك بما رأيت من رسول الله ﷺ»[2].

---

(١) الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، الجزء الثالث، ص ٧٢، ط. الخامسة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م، راجع تاريخ الأمم والملوك للطبري، المجلد الثاني، ص ١٣١ - ١٣٢، أحداث السنة السادسة للهجرة.

(٢) سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي، الجزء الأول، ص ٤٢٨ - ٤٢٩، ط. الرابعة =

ومما يزيد الأمر وضوحاً ما أورده ابن كثير عن جعفر بن محمد بن جعفر رضي الله عنهما قال: «اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشي إنك فارقت ديننا، وخرجوا عليه، فأرسل إلى جعفر وأصحابه فهيأ لهم سفناً، وقالوا: اركبوا فيها وكونوا كما أنتم، فإن هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم، وإن ظفرت فأثبتوا ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه هو يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله ويشهد أن عيسى عبده ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم، ثم جعله في قبائه عند المنكب الأيمن، وخرج إلى الحبشة، وصفوا له، فقال: يا معشر الحبشة ألست أحق الناس بكم؟ قالوا: بلى، قال: فكيف رأيتم سيرتي في فيكم؟ قالوا: خير سيرة، قال: فما بكم؟ قالوا: فارقت ديننا!!!

وزعمت أن عيسى عبده ورسوله، قال: فما تقولون أنتم في عيسى؟ قالوا: نقول هو ابن الله، فقال النجاشي: ووضع يده على صدره على قبائه ـ: وهو يشهد أن عيسى بن مريم لم يرد على هذا ـ، وإنما يعني على ما كتب، فرضوا، وانصرفوا، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فلما مات النجاشي صلى عليه واستغفر له»[1].

إن الروايتين نص لا يحتمل التأويل في إسلام النجاشي، وأنه آمن برسول الله ﷺ إيماناً واضحاً لا لبس فيه حيث نطق بشهادة الحق ناصعة مختاراً، طائعاً غير مكره.

والدليل الآخر من الأدلة على إسلامه وإيمانه بالدين الجديد هو أن الحبشة فهموا من أن ملكهم قد اتبع الدين الجديد، فغضبوا منه حتى ثاروا ضده وكادت تحدث مقتلة رهيبة بين الطرفين، بل ثارت ثائرة البطارقة منذ اللحظات الأولى عندما سمعوا قولته: «ما عدا عيسى ما قلت هذا العود

= ١٤٠٦ هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

لم تثبت رؤيته للرسول ﷺ، وعلى هذا فهو تابعي وإن أسلم في حياة الرسول ومات وصلى عليه الرسول ﷺ.

(١) رواه ابن إسحاق في سيرته ١/٣٥٤ ورجاله ثقات ولكنه مرسل. والحافظ ابن كثير، البداية والنهاية ٣/٧٢.

فنخرت بطارقته فقال: وإن نخرتم[1]. فلم يتوقف الأمر بل استطاع البطارقة والرهبان الذين يعتقدون بألوهية عيسى بن مريم عليه السلام إعلان الحرب على النجاشي بسبب إيمانه وإسلامه فاجتمعت الحبشة عليه بهذا السبب لا غيره فلم ينج من الحرب إلا بحيلة ذكية»[2].

هذا فهم الحبشة لموقف النجاشي من الرسالة الجديدة حتى قالوا: «فارقت ديننا» بدون تردد.

فكيف كان فهم الصحابة رضي الله عنهم من إسلام النجاشي؟!! لم يكن فهم الصحابة يختلف عن فهم بطارقة الحبشة فيما يتعلق بإسلام النجاشي، لأن إسلامه ليس أمراً تختلف فيه الأفهام، إن التوحيد جملة ينطق بها الشخص فيترتب عليها حكم يدركه الناطق والسامع المغزى الحقيقي منها، ولا يتطلب ذلك عبقرية خاصة.

إن الصحابة أدركوا حقيقة النجاشي منذ المناظرة الكبرى حين أعلن إسلامه جهاراً نهاراً لا خفاء ولا التواء فيه، وانطلاقاً من هذا فلا نجد أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ أنكر إسلامه، أو شك في إسلامه، سواء أيام كانوا في الحبشة أو بعد مغادرتهم منها إلى دار الهجرة.

وفي الحديث الذي رواه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه وردت فيه الجمل الآتية: «فقال عمرو بن العاص: فإنهم يخالفوك في عيسى بن مريم، قال النجاشي: ما تقولون في عيسى بن مريم وأمه؟ قالوا: نقول كما قال الله عز وجل: هو كلمة الله وروحه ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسها بشر ولم يفرضها ولد، قال: فرفع عوداً من الأرض، ثم قال:

يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان، والله ما يزيدون على الذي يقول فيه ما يسوي هذا، مرحباً بكم، وبمن جئتم من عنده أشهد أنه رسول الله،

---

(١) ابن الأثير، الكامل للتاريخ ٢/٥٥.

(٢) إن الأسلوب الذي اتبعه النجاشي لا ضير- إن صحت الرواية- لأنه استطاع إنقاذ الموقف بدون أن يتراجع عن إسلامه.

فإنه الذي نجد في الإنجيل، وإنه الرسول الذي يبشر به عيسى بن مريم، أنزلوا حيث شئتم، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا أحمل نعليه وأوضئه»[1].

إن الجمل السابقة وصف رائع في كيفية دخول النجاشي في الإسلام، إنه أسلم عن قناعة تامة بعد مقارنة سريعة بين ما سمع من المهاجرين، وبين ما هو موجود في التوراة والإنجيل لأنه وجد التطابق الكامل بين الإسلام وبين التوراة والإنجيل في مسألة عيسى وأمه عليهما السلام، لذا أورد النجاشي الأدلة العلمية بصدق محمد ونبوته من التوراة مباشرة، وهذا يدل على الفهم والاستيعاب الذي يتصف به النجاشي، كما أنه برهن على فقهه وفهمه للتوراة أكثر من القساوسة الذين كانوا يعتقدون بألوهية عيسى بن مريم[2].

والأدلة العلمية التي أقنعت النجاشي على الدخول في الإسلام هي التي تشير إليه الآية القرآنية: يقول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[3].

وفي حديث أم سلمة رضي الله عنها المتقدم ما يدل على إسلام النجاشي دلالة واضحة، وهي رواية جيدة السند، فبعد أن سمع النجاشي الحوار من الطرفين قال لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه: «هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قالت: فقال له جعفر: نعم، فقال له النجاشي: فأقرأه عليّ، فقرأ عليه صدراً من كهيعص، قالت: فبكى والله النجاشي حتى اخضلّ لحيته وبكت أساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلاه عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والله والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة».

وفي فقرة أخرى من الحديث قالت أم سلمة رضي الله عنها: «فلما دخلوا

---

(١) راجع الفتح الرباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢٠/٢٢٤ - ٢٢٥.
(٢) الفتح الرباني، ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل مع شرح بلوغ الأماني من أسرار فتح الرباني، الجزء العشرين، ص ٢٢٤ - ٢٢٥، دار الشهاب، القاهرة.
(٣) سورة الصف: الآية ٦.

عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى بن مريم؟ فقال له جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به نبينا ﷺ، هو عبدالله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. قالت: فضرب النجاشي بيده إلى الأرض فأخذ منها عوداً، ثم قال: ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود، فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم سئوم بأرضي - السئوم الآمنون - من سبكم غرم ثم من سبكم غرم»[1].

في الفقرات السابقة من الحديث أكثر من جملة تدل على إسلام النجاشي رحمه الله تعالى بصدق وعزيمة وعن اقتناع كامل.

الجملة الأولى: «إن هذا والذي جاء به موسى» إلى آخر الفقرة هذه الجملة تظهر لنا كيف أن النجاشي سوى بين محمد وموسى عليهما السلام في هذا الموقف ولا يرى فرقاً بين النبيين بل يؤمن بوحدة المصدر، وهو اعتراف صريح بنبوة محمد ﷺ وبأن ما يدعو إليه من عند الله.

الجملة الثانية: «ما عدا عيسى ما قلت هذا العود» وهذه إشارة واضحة بأن ما ذكره جعفر عن عيسى موجود في التوراة، ويدرك النجاشي هذا لأنه لا سبيل إلى معرفة ذلك إلا عن طريق الوحي.

وفي حديث عبدالله بن جعفر عن أبيه قول النجاشي: «أخبر صاحبك بما صنعت إليكم، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله وقل له يستغفر لي..»[2].

وفي دلائل النبوة: «فقال النجاشي: أيكم أدرس للكتاب الذي أنزل على نبيكم؟ فقالوا: جعفر، فقرأ عليهم جعفر سورة مريم، فلما سمعها عرف أنه الحق، وقال النجاشي: زدنا من الكلام الطيب ثم قرأ عليه سورة أخرى، فلما سمعها عرف الحق، وقال: صدقتم وصدق نبيكم ﷺ، أنتم والله

---

(١) المصدر السابق، الجزء العشرون، ص ٢٢٦ - ٢٢٩، رقم الحديث ٨.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام «السيرة النبوية» تحقيق الدكتور عمر عبدالسلام تدمري، ص ١٩٦.

صديقون، أمكثوا على اسم الله وبركته، آمنين ممنوعين، وألقيت عليهم المحبة من النجاشي»[1].

وفي الإصابة عند ترجمة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه النص التالي: «وهاجر ـ جعفر ـ إلى الحبشة فأسلم النجاشي ومن تبعه وأقام جعفر عنده ثم هاجر منها إلى المدينة، فقدم النبي ﷺ بخيبر، وكان ذلك مشهوراً في المغازي بروايات صحيحة»[2].

إن ابن حجر العسقلاني المشهور بمعرفته الواسعة وفهمه العميق، وسبقه في تتبع طرق الأحاديث وتدقيقها يعتبر إسلام النجاشي بأنه أمر مشهور لا يخفى على أحد، وأن ذلك ورد بروايات كثيرة وصحيحة في آن واحد، فإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن إسلام النجاشي غير مختلف بين علماء الأمة سلفاً وخلفاً. بل المؤرخون وأهل السير والمغازي والمحدثون والفقهاء مجمعون على ذلك.

صلاة الرسول ﷺ على النجاشي:

بعض الأحاديث الواردة في هذا الأمر:

الأحاديث المتفق عليها:

١ ــ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه، خرج إلى المصلى فصف بهم وكبر أربعاً[3].

---

(١) أبو نعيم الأصبهاني، دلائل النبوة، تحقيق محمد رواس قلعه جي وعبدالبر عباس، الجزء الأول، ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦.

(٢) ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، المجلد الأول، الجزء الأول، ص ٢٤٨، ط. عام ١٨٥٣ هـ، إن كلمة «ومن تبعه» تشير إلى أن هناك عدداً من الأحباش آمنوا بالله والرسول ودخلوا في الإسلام واتبعوا النجاشي على هذا وساندوه، وليس كما قال بعض الكتّاب بأنه لم يؤمن من الحبشة غيره، وهذا خطأ فادح لا يتمشى مع الحقائق العلمية في الموضوع.

(٣) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، الجزء الأول، ص ١٩٣، ط. عام ١٣٩٧ هـ، طباعة المطبعة العصرية بالكويت، جمعه محمد فؤاد عبدالباقي، راجعه الدكتور عبدالفتاح أبو غدة.

٢ ــ عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: نعى لنا رسول الله ﷺ النجاشي صاحب الحبشة اليوم الذي مات فيه، فقال: «استغفروا لأخيكم»[١].

٣ ــ عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ صلى على أصحمة النجاشي، فكبر أربعاً[٢].

٤ ــ عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ: «قد توفي اليوم رجل صالح من الحبش، فهلم فصلوا عليه» قال: فصففنا، فصلى النبي ﷺ عليه ونحن صفوف[٣].

الأحاديث الواردة في صحيح البخاري: باب موت النجاشي:

١ ــ عن جابر رضي الله عنه: «قال النبي ﷺ حين مات النجاشي: مات اليوم رجل صالح، فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمة»[٤].

٢ ــ عن جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنهما «أن نبي الله ﷺ صلى على النجاشي، فصفنا وراءه، فكنت في الصف الثاني أو الثالث»[٥].

٢ ــ عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما «أن النبي ﷺ صلى على أصحمة النجاشي فكبر عليه أربعاً»[٦].

٤ ــ عن أبي هريرة رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ نعى لهم النجاشي صاحب الحبشة في اليوم الذي مات فيه، وقال: استغفروا لأخيكم»[٧].

---

(١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، الجزء الأول، ص ١٩٣.
(٢) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ١٩٣.
(٣) المصدر السابق، الجزء الأول، ص ١٩٤.
(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، المجلد السابع، ص ١٩١، ط. الأولى، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
(٥) المصدر السابق، المجلد السابع، ص ١٩١.
(٦) المصدر السابق، المجلد السابع، ص ١٩١.
(٧) المصدر السابق، المجلد السابع، ص ١٩١.

٥ ــ عن أبي هريرة رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ صف بهم في المصلى فصلى عليه وكبر أربعاً»[١].

من الأحاديث الواردة في صحيح مسلم «باب موت النجاشي»:

١ ــ عن أبي هريرة رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ نعى للناس النجاشي في اليوم الذي مات فيه فخرج بهم إلى المصلى وكبر أربع تكبيرات»[٢].

٢ ــ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: نعى لنا رسول الله ﷺ النجاشي صاحب الحبشة في اليوم الذي مات فيه فقال: «استغفروا لأخيكم»، قال ابن شهاب، وحدثني سعيد بن المسيب أن أبا هريرة حدثه أن رسول الله ﷺ صف بهم بالمصلى، فصلى، فكبر عليه أربع تكبيرات»[٣].

٣ ــ عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «مات اليوم عبد لله صالح أصحمة فقام فأمنا وصلى عليه»[٤].

٤ ــ عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أخاً لكم قد مات فقوموا فصلوا عليه، قال: فقمنا، فصفنا صفين»[٥].

٥ ــ عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أخاً لكم قد مات فقوموا فصلوا عليه، يعني النجاشي»[٦].

من الأحاديث الواردة في مسند الإمام أحمد بن حنبل:

١ ــ عن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ جاء ذات

---

(١) فتح الباري، المجلد السابع، ص ١٩١.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، المجلد الثاني، الجزء الثالث، ص ٥٤، باب التكبير على الجنازة.

(٣) المصدر السابق، المجلد الثاني، الجزء الثالث، ص ٥٤، باب التكبير على الجنازة.

(٤) المصدر السابق، المجلد الثاني، الجزء الثالث، ص ٥٥، باب التكبير على الجنازة.

(٥) المصدر السابق، المجلد الثاني، الجزء الثالث، ص ٥٥.

(٦) المصدر السابق، المجلد الثاني، الجزء الثالث، ص ٥٥.

يوم، فقال: «صلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم، قالوا: من هو يا رسول الله؟!! قال: أصحمة النجاشي، فقاموا فصلوا عليه»[1].

٢ ــ عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن أخاكم النجاشي قد مات، فقوموا فصلوا عليه، قال: فقمنا، فصففنا عليه كما نصف على الميت، وصلينا عليه كما نصلي على الميت»[2].

٣ ــ عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أخاكم النجاشي قد مات فاستغفروا له»[3].

٤ ــ عن ابن عباس رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ صلى على النجاشي»[4].

٥ ــ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: نعى لنا رسول الله ﷺ النجاشي في اليوم الذي مات فيه فخرج إلى المصلى، فصف أصحابه خلفه، وكبر عليه أربعاً»[5].

٦ ــ عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ: «مات اليوم رجل صالح من الحبش فصفوا، قال: فصففنا فصلى النبي ﷺ، ونحن»[6].

من الأحاديث الواردة في سنن الترمذي:

باب ما جاء في صلاة النبي ﷺ على النجاشي: عن عمران بن حصين، قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «إن أخاكم النجاشي قد مات، فقوموا فصلوا عليه» قال: فقمنا فصففنا كما يصف على الميت، وصلينا عليه كما يصلى على

---

(١) الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل، الجزء السابع، ص ٢٢٠.
(٢) المصدر السابق، مسند الإمام أحمد بن حنبل، الجزء السابع، ص ٢٢٠.
(٣) المصدر السابق، مسند الإمام أحمد بن حنبل، الجزء السابع، ص ٢٢٠ ـ ٢٢١.
(٤) المصدر السابق، مسند الإمام أحمد بن حنبل، الجزء السابع، ص ٢٢١.
(٥) المصدر السابق، مسند الإمام أحمد بن حنبل، الجزء السابع، ص ٢١٨ ـ ٢١٩.
(٦) المصدر السابق، الجزء السابع، ص ٢٢٠.

الميت، وفي الباب عن أبي هريرة، وجابر بن عبدالله، وأبي سعيد، وحذيفة بن أسيد، وجرير بن عبدالله.

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، غريب من هذا الوجه»[1].

ما رواه النسائي في هذا الباب:

١ ــ عن أبي هريرة رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ نعى للناس النجاشي وخرج بهم فصف بهم وكبر أربع تكبيرات»[2].

ما رواه الستة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ نعى النجاشي اليوم الذي مات فيه، وخرج بهم إلى المصلى، فصف بهم، وكبر عليه أربع تكبيرات» أخرجه الستة[3].

أما الموطأ، فقد أورد حديثاً واحداً في هذا الباب: «عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نعى النجاشي للناس في اليوم الذي مات فيه، وخرج بهم إلى المصلى، فصف بهم وكبر أربع تكبيرات»[4].

اكتفى بهذا القدر، ورغم أن الأحاديث التي نقلتها إلى هنا من مختلف كتب الحديث متقاربة من حيث ألفاظها ومعانيها، ومكررة إلا أنني تعمدت إلى نقل الأحاديث من مصادر مختلفة تأكيداً لقوتها ووفرتها للوقوف على العبارات والألفاظ المختلفة.

---

(١) رواه الترمذي في الجامع الصحيح، الجزء الثالث، ص ٣٥٧، دار إحياء التراث العربي رقم الحديث ١٠٣٩، باب ما جاء في صلاة النبي ﷺ على النجاشي.

(٢) رواه النسائي في سننه، المجلد الثاني، الجزء الرابع، ص ٧٢ بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، وحاشية الإمام السندي، ط. دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

(٣) ابن الأثير الجزري، جامع الأصول في أحاديث الرسول، الجزء السادس، ص ٢١٥، طبع عام ١٣٩١ هـ، مطبعة الملاح.

(٤) رواه الإمام مالك في الموطأ، باب التكبير على الجنائز، ص ١٥١، الطبعة السابعة عام ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٣ م، دار النفائس، بيروت، لبنان.

إلقاء نظرة عابرة على الأحاديث الواردة في موت النجاشي:

أولاً: إن الأحاديث الواردة في نعي النجاشي وصلاة الرسول ﷺ أخرجتها الكتب الستة وغيرها، وعلى رأسها صحيح البخاري، وصحيح مسلم، والجامع الترمذي، وأبو داوود، والنسائي، والموطأ.

ومن هذه الأحاديث ما هو متفق عليه بين البخاري ومسلم ومنها ما رواه الستة، ومنها ما رواه ثلاثة إلى غير ذلك وعلى هذا فإنها لا تحتاج إلى تعليق من حيث السند والمتن، فتلك أعلى درجة يمكن أن تصل إليها درجة حديث من الأحاديث.

ثانياً: روى لنا تلك الأحاديث العطرة عن رسول الله ﷺ، طائفة كبيرة من كبار الصحابة رضي الله عنهم، ومن هؤلاء: أبو هريرة، وجابر بن عبدالله، وعمران بن حصين، وأبي سعيد، وحذيفة بن أسيد، وجرير بن عبدالله، وعبدالله بن عباس، رضي الله عنهم أجمعين.

وهؤلاء جهابذة الصحابة، والعدد الكبير الذي نقل الحادثة مباشرة يقوي الاستدلال أكثر فأكثر، وإن ثبت هذا عن واحد من هؤلاء بسند صحيح لكفى، فما بالك بهذا الجمع.

ثالثاً: إن صلاة النبي ﷺ على النجاشي، ونعيه للمسلمين في اليوم الذي مات فيه معجزة للنبي ﷺ وهذا يدل على جلالة قدر النجاشي وإكرام الله له، وهذا دليل صلاحه وتقواه.

رابعاً: نجد في بعض الروايات السابقة شهادة الرسول ﷺ للنجاشي رحمه الله تعالى بأنه «عبد الله» وهذه إضافة تشريف لا يحصل عليها إلا المؤمنون الصادقون وخاصة في مثل هذه المواطن.

وشهد الرسول ﷺ للنجاشي بالصلاح بقوله: «عبد لله صالح» فكلمة صالح تعني في هذا المقام بالإيمان الصادق فلا يمكن وصف الرجل بالصلاح إلا أن يكون مسلماً مستقيماً على جادة الحق، ويكفيه شرفاً ورفعة لصدور هذه

الشهادة من الصادق الأمين الذي وصف الله بقوله: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[1].

وفي تلك الأحاديث وردت بلسان النبي ﷺ العبارات التالية: «فصلوا على أخيكم»، «استغفروا لأخيكم»، «صلوا على أخ لكم»، «إن أخاكم النجاشي قد مات».

فالأخوة الواردة في هذه الروايات المقرونة بالصلاة والاستغفار والمتضمنة بأدوات التوكيد، وكيفية أخبار موته حزناً وألماً إنما هي الأخوة الإيمانية التي أوجدتها الشهادة بالله وبرسوله محمد ﷺ حتى أصبحت أقوى وشيجة تربط بين إنسان وآخر، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[2] فالنجاشي ملك الحبشة، فهو حبشي أصلاً وفرعاً. فليس بينه وبين أصحاب رسول الله ﷺ علاقة نسب أو رحم، فالذي آخى بين النجاشي وبين المؤمنين في المدينة المنورة هو الإسلام، وهذه الألفاظ كافية للدلالة على إسلامه وأنه مات على التوحيد.

خامساً: **الصلاة على النجاشي**: إن من شروط صلاة الجنازة أن يكون الميت مسلماً، فتحرم الصلاة على الكافر لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾[3]. لأن الصلاة على الميت دعاء واستغفار، فلا يستحق هذا إلا المسلم الذي خضع لشرع الله وأقر الشهادتين ومات على ذلك، فإسلام النجاشي ثبت بحضور جمع كبير من المهاجرين من أصحاب رسول الله ﷺ، وتواترت أخباره وفاضت عن طريق روايات وردت في كتب الحديث المعتمدة التي لا يتطرق إليها الشك، وقسم كبير من تلك الأحاديث متفق عليه بين

---

(١) سورة النجم: الآيتان ٣، ٤.

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٠.

(٣) سورة التوبة: الآية ٨٤.

البخاري ومسلم. كما أن أخباره معلومة مشهورة في كتب السير والمغازي والتاريخ على حد سواء.

أما من الناحية العملية فقد برهن النجاشي من خلال تصرفاته ومعاملاته مع المسلمين قولاً وعملاً على قوة إسلامه وصلابة عقيدته، ولم يثبت منه أبداً ما يخالف الإسلام أو يبطل عقيدته أو يضعه موضع الشك على أقل تقدير، وأضيف هذا الأمر إلى أن العلاقة بين النجاشي وبين المهاجرين امتدت إلى أربعة عشر عاماً تقريباً، وهي مدة تكفي للتجربة وصبر الأغوار، ومعرفة خبايا الأمور عن شخصيته.

بل الأدلة تثبت أن النجاشي كان داعية متحمساً لنشر دينه الإسلامي، فكان إسلامه نعمة كبرى من الله على المؤمنين، حيث انتشر الإسلام بإسلامه في أرض الحبشة، ودخلت طائفة من الأحباش في دين الله كما هو معلوم في حياته، أما نهايته فكانت نهاية سارة جداً، لأنه مات على الإسلام ونعى رسول ﷺ موته للناس في اليوم الذي مات فيه عن طريق الوحي حتى صلى عليه مع جمع من أصحابه ﷺ بلغ أكثر من صفين في المصلى العام «والظاهر أن الرسول ﷺ خرج بالمصلين إلى المصلى بتكثير الجمع الذي يصلي عليه، ولإشاعة كونه مات على الإسلام»[1].

فهل تجد أدلة كهذا في إثبات إسلام النجاشي من حيث السند والمتن، ومن حيث كثرتها وتنوعها، ومن حيث وضوحها وقوتها فماذا يقول المبطلون بعد كل هذه؟!!

النجاشي في مصادر الفقه:

إن الفقهاء استنبطوا من الأحاديث الواردة بشأن صلاة النبي ﷺ على النجاشي في اليوم الذي مات فيه أحكاماً عدة، وهي أحكام في غاية الأهمية في الدين الإسلامي ترتقي أهمية بعضها إلى كونها من الفروض والواجبات، ومن تلك الأحكام المندرجة تحت الفرضية.

---

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني، المجلد الثالث، ص ١٨٨.

الصلاة على الميت الغائب:

إن الأحاديث التي سبق ذكرها هي الأحاديث التي وردت في الصلاة على الميت الغائب والتي سلمت من كل الطعون أو أي قدح في متونها أو في أسانيدها كما علمت، ولم يرد في هذا الباب حديث آخر سليم من المقال كما ذكره المحققون.

وعلى هذا «استدل جمهور من العلماء بهذه الأحاديث مشروعية الصلاة على الميت الغائب عن البلد. وبذلك قال الشافعي وأحمد وجمهور السلف، حتى قال ابن حزم: لم يأت أحد من الصحابة منعه. قال الشافعي: الصلاة على الميت دعاء له، وهو إذا كان ملففاً يصلى عليه، فكيف لا يدعي له وهو غائب أو في القبر بذلك الوجه الذي يدعي به وهو ملفف؟!!»[1].

وقال ابن حزم: «ويصلى على الميت الغائب بإمام وجماعة، فقد صلى رسول الله ﷺ على النجاشي رضي الله عنه ـ ومات بأرض الحبشة ـ وصلى معه أصحابه عليه صفوفاً، وهذا إجماع منهم لا يجوز تعديه»[2].

لقد اختلفت مصادر الفقه الإسلامي في الصلاة على الميت الغائب بعد النجاشي، ولكنها متفقة بدون استثناء على أن الرسول ﷺ صلى على النجاشي أصحمة وهذا يهمنا في هذا الموضع، كما أنهم يتفقون على أن صلاة الجنازة على الميت الحاضر أو الغائب لا تجوز إلا إذا كان الميت مسلماً، وأما الصلاة على الكفار فهي محرمة بالإجماع بين علماء الأمة الإسلامية.

عدد التكبيرات:

فمن أقوى الأدلة التي اعتمد عليها الفقهاء الأحاديث الواردة على موت النجاشي والصلاة عليه، وإن كانت أحاديث أخرى في الموضوع، إن عدد التكبيرات على الجنازة أو الصلاة على الغائب غير متفق عليها بل إنها تراوحت

---

(١) المصدر السابق، المجلد الثالث، ص ١٨٨.

(٢) المحلى بالآثار لابن حزم الأندلسي بتحقيق الدكتور عبدالغفار سليمان البنداري، الجزء الثالث ص ٣٩٩، ط عام ١٤٠٨ هـ الموافق ١٩٨٨ م دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

ما بين ثلاث وسبع حسبما نقل من السلف الصالح إلا أن أقوى الروايات التي وردت في شأن عدد التكبيرات وردت في الصحيح البخاري بكونها أربع تكبيرات فقط، لذلك بوّب البخاري في صحيحه بقوله: «باب التكبير على الجنازة أربعاً» ثم أورد جابر عن أبي هريرة رضي الله عنهما حديثين وكلاهما يتعلق بنعي النجاشي والصلاة عليه.

قال الزيد بن المنير: «أشار البخاري بهذه الترجمة إلى أن التكبير لا يزيد على أربع ولذلك لم يذكر ترجمة أخرى ولا خبراً في الباب»[1].

وقال ابن عبدالبر: «لا أعلم أحداً من فقهاء الأمصار قال: يزيد في التكبير على أربع إلا ابن أبي يعلى»[2].

إقامة الصلاة في المصلى خارج المسجد:

لقد ذهب بعض الفقهاء إلى أن ذلك أمر واجب ولا تجوز الصلاة داخل المسجد واستدلوا الأحاديث الواردة في الصلاة على النجاشي «وفي قصة النجاشي علم من أعلام النبوة لأنه ﷺ أعلمهم بموته في اليوم الذي مات فيه مع بعد ما بين أرض الحبشة والمدينة، واستدل به على منع الصلاة على الميت في المسجد وهو قول الحنفية والمالكية»[3].

إكثار الصفوف لصلاة الجنازة:

فمن الأحكام المستنبطة من الصلاة على النجاشي «جواز الصفوف لصلاة الجنازة حيث ذكرت الروايات تعدد الصفوف وعن جابر وكنت في الصف الثاني»[4]. «وأشار المصنف بصيغة الجمع إلى ما ورد في استحباب ثلاثة صفوف وهو ما رواه أبو داوود وغيره من حديث مالك بن هبيرة مرفوعاً:

---

(١) فتح الباري، المجلد الثالث، ص ٢٠٢.
(٢) المصدر السابق، المجلد الثالث، ص ٢٠٣.
(٣) المصدر السابق، المجلد الثالث، ص ١٨٨.
(٤) المصدر السابق، المجلد الثالث، ص ١٨٨.

«من صلى عليه ثلاث صفوف فقد أوجب» حسنه الترمذي وصححه الحاكم»[1].

وعن مرثد بن عبدالله المزني قال: كان مالك بن هبيرة، إذا صلى على جنازة فتقاتل الناس عليها، جزأهم ثلاثة أجزاء، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى عليه ثلاثة صفوف فقد أوجب»[2].

هذه جملة أحكام فقهية متعلقة بفريضة في ديننا، وهي صلاة الجنازة التي هي فرض كفاية على الأمة الإسلامية وتأثم بعدم تنفيذها والقيام بها، ولا يخلو مصدر فقهي معتمد عن ذكر الأدلة الشرعية التي تناقش فريضة الجنازة، ومما لا شك فيه أن النصوص التي تتحدث عن النجاشي ووفاته وصلاة الرسول ﷺ عليه هي أقوى الأدلة في هذا الأمر بكونها أعلى درجات الصحة، وبكونها الأساس الذي يعتمد عليه مثل الصلاة على الميت الغائب إذ لم يرد فيه غير حديث واحد لم يسلم من المقال، وفي هذه المناسبة تكون هذه الأحاديث حاسمة في الموضوع.

يتبين مما سبق بأن المصادر الفقهية سواء كانت من كتب الفقه أو شروح الأحاديث النبوية متفقة على إسلام النجاشي.

ومتفقة على أنه مات على الإسلام حتى صلى عليه الرسول ﷺ.

وتلك أدلة لا يتطرق إليها أدنى الشك لأنه لا يعقل اتفاق الفقهاء والمحدثين وعلماء الإسلام سلفاً وخلفاً مع علمهم وكثرتهم في كل عصر من العصور على إسلام النجاشي بدون أدلة قطعية.

وأخيراً فإن إسلام النجاشي ثابت عن طريق السير والمغازي والتاريخ الإسلامي، وأوردت كتب التفاسير إسلامه عند الحديث عن أهل الكتاب في بعض الآيات القرآنية، كما أن الأحاديث مستفيضة في إسلامه سواء تلك التي تذكر إسلامه أيام هجرة الصحابة رضي الله عنهم، أو التي تتحدث عن كتاب

---

(١) المصدر السابق، المجلد الثالث، ص ١٨٧.

(٢) الجامع الصحيح للترمذي، المجلد الثالث، ص ٣٤٧، رقم الحديث ١٠٢٨.

النجاشي إلى الرسول ﷺ أو الأحاديث التي تزودنا معلومات عن المناظرة الكبرى بصفة خاصة، كما أن الأحاديث النبوية الواردة في صلاة النبي ﷺ على النجاشي وما يتعلق بهذا الأمر معلومة مشهورة وهي التي وقف عندها المحدثون والفقهاء طويلاً، وأخيراً أوردت كتب الفقه بالإجماع ما يجزم إسلامه ويدل على أنه مات على الإسلام، مما جعل النجاشي من أشهر التابعين الذين أسلموا في حياة رسول الله ﷺ فيا ليت المرجفين والمتنطعين يتصفحون المصادر الإسلامية ليروا الحقيقة بأم أعينهم قبل أن يصدروا أحكاماً مبنية على الجهل والتحامل.

ولكن السؤال هو، هل يريدون الحقيقة ويعشقونها؟!! سوف نرى في المبحث التالي إن شاء الله تعالى.

حجج المنكرين إسلام النجاشي:

إن الذين يخوضون في لجج التاريخ الإسلامي في العصر الحديث كم غفير لا يستهان، وكثير من هؤلاء يكتب عن الإسلام وعن تاريخه قبل أن يقرأ مصادرها الأصلية والفرعية، وقبل أن يكلف نفسه قراءة عابرة أحياناً بل يكتفي بالنقل والترديد بدون فحص أو تدقيق تلك المعلومات وتلك طامة كبرى أصيب بها طائفة من الكتاب، إن الأخطاء التي يرتكبها هؤلاء جسيمة وفادحة لأنها تتصل بالأمانة العلمية والنزاهة كما أنها تترك سلبيات لا حدود لها في التفكير البشري، لأن القراء سوف يبنون آراءهم عن القضايا المطروحة في ساحتهم على ما يقرأون عادة وبالتالي فإن بعضاً من قناعاتهم وقراراتهم ستضر المسيرة البشرية والعلاقات بين الأفراد والشعوب، وعلى هذا فإن ارتكاب أخطاء تاريخية كهذا لا مصوغ له في أي حال من الأحوال، فهؤلاء إما أنهم يعتمدون على صنف من الكتاب يكنون عداوة للإسلام وأهله بسبب عقائدهم والأحقاد الموروثة الناتجة عن الخلفيات التاريخية، وما أكثر من هذا الصنف في العصر الحديث، وعلى رأسهم المنصرون والمستشرقون الذين جندوا أنفسهم في معظم الأحيان لحرب الإسلام وتشويه الحقائق باسم البحث العلمي، أو يعتمدون على جهلة لا يلمون إلماماً كافياً بهذا الأمر وكلا الأمرين غير مجد لأنهما مسلكان غير طبيعيين في المجالات العلمية.

ففي الموضوع الذي نحن بصدده وهو إسلام النجاشي تناوله العديد من

الكتاب في الوقت الحاضر. لأن إسلامه مسألة لها علاقة بتاريخ الحبشة، فأي كاتب مسلماً كان أو غير مسلم سيتعرض لهذا الموضوع بطريقة أو بأخرى عند الحديث عن العلاقات بين المسلمين وبين الحبشة وانتشار الإسلام فيها وهجرة الصحابة إليها والمعلومات المتعلقة بهذا الأمر.

ولكن عدداً من الكتّاب لا يريدون ذكر الحقائق المجردة وإنما يحاولون إخفاءها أو ذكرها بأسلوب ينم عن خبث نية، وإرضاء لرغباته بعيداً عن العلم والحقيقة والإنصاف للتاريخ.

وسأنقل إلى القراء نماذج من الكتّاب الذين عالجوا موضوع النجاشي بأسلوبهم الخاص.

● **النموذج الأول:**

وهذا نص يقول الكاتب زاهر رياض: «وفي سنة ست أرسل النبي عليه الصلاة والسلام إلى النجاشي كتاباً يدعوه إلى الإسلام فاستقبله النجاشي استقبالاً حسناً، ووضعه على رأسه وأسلم على ما تقول المصادر الإسلامية، وإن كنا لا نجد سنداً مطلقاً في المصادر الأثيوبية، ولكن ما عرف عن الأثيوبيين من تمسك بدينهم يلقي ظلالاً من الشك على هذه الرواية، كما أن الرواية توحي بالتكذيب أكثر مما توحي بالتصديق، فقد ذكرت أنه أرسل رده مع ابنه «أريحا» ومعه ستون رجلاً ركبوا البحر، وسارت بهم السفينة، حتى إذا توسطت البحر هاج عليها ريح فأغرقها، ومن فيها، ويظهر أن المؤرخين المسلمين عنوا بإنقاذ الكتاب، فأتوا لنا بنصه أكثر مما عنوا بإنقاذ أصحابه ولكن الثابت أنه أرسل له رداً جميلاً كان من شأنه أن استمرت العلاقات الحسنة بينهما حتى إذا تنصّر عبيدالله بن جحش ومات أرسل إليه النبي عليه الصلاة والسلام سنة سبع من الهجرة ليزوجه من زوجته أم حبيبة كما طلب عودة أنصاره إليه فزوجها وأركب الباقين من المسلمين ـ ولم يكونوا يزيدون عن ثمانين ـ البحر وأرسلهم إلى صديقه فدخلوا المدينة، وقد انتهى النبي ﷺ من غزوة خيبر سنة ثمان الهجرة...»[1].

---

(١) الدكتور زاهر رياض، الإسلام في أثيوبيا، ص ٤٦ ـ ٤٧، ط. الأولى عام ١٩٦٤ م، دار المعرفة، دار الحمامي للطباعة، القاهرة.

١ ــ رغم احترامي وتقديري للجهود التي بذلها الكاتب حيال هذا الموضوع إلا أن الأخطاء التي تزاحمت خلال هذه السطور دليل قوي للروح التي يحملها الكاتب، فقوله: «وأسلم على ما تقول المصادر الإسلامية» أسلوب تشكيك للقارىء، ولو كان لدى الكاتب مصدر واحد من غير المسلمين ينفي إسلام النجاشي ويرفضه لكنا نقول إنه يستند إلى هذا المصدر، ولكنه لم يذكر أي مصدر أو مرجع حديث يعطي معلومات غير التي أوردتها المصادر الإسلامية، فما معنى هذا الإيهام الغريب.

٢ ــ إن عدم وجود سند لهذا في المصادر الأثيوبية ليس دليلاً بحد ذاته أمام أدلة متوافرة لأن عدم المعرفة والعلم بالشيء ليس دليلاً بعدمه.

أما قوله: «ولكن ما عرف عن الأثيوبيين... إلى آخرها» فهو من الأعاجيب ومن لغو الكلام فالأثيوبيون مثل غيرهم من بني البشر يتأثرون بما يشاهدونه، ألم يعلم الكاتب أنهم اعتنقوا الدين النصراني قبل الإسلام، وأنهم اختلفوا في نظرتهم للإسلام، وما جاء به محمد ﷺ فإن كان النجاشي قد أسلم وآمن برسول الله ﷺ فإن غيره من الرهبان والقساوسة قد عارضوه ورفضوا عبودية عيسى، فلا معنى لقول الكاتب: «من شدة تمسك الأثيوبيين بدينهم فإن الغالبية العظمى من شعب أثيوبيا اليوم يدينون بالإسلام، وهل مثل هذا الزعم يكون دليلاً لقضية تاريخية مهمة إلى هذه الدرجة فكم أمة كانت متمسكة بدينها اعتقنت الإسلام عندما علمت أنه متصف بالعدل والمساواة مثل الشعب المصري والفارسي والبربر وغيرهم».

٣ ــ وأما قوله: «إن الرواية توحي بالتكذيب أكثر مما توحي بالتصديق» إن الكاتب يدّعي بأن المسلمين عنوا بإنقاذ الكتاب وهذا كذب صارخ لم يدع أحد من المؤرخين بأن المسلمين وجدوا الكتاب من السفينة الغارقة، والشيء المدهش هو لماذا الكاتب لم يعتمد على الروايات الأخرى التي تؤكد وصول مبعوث النجاشي إلى رسول الله ﷺ مع جعفر بن أبي طالب ومن معه، ولماذا يفتري على المؤرخين؟ وأياً كانت قوة الرواية صحة وضَعْفاً من الناحية التاريخية إلا أن إمكانية معرفة الرحلة من الحبشة إلى شاطىء الجزيرة ليس أمراً غريباً وخاصة أثناء وجود بعض الصحابة رضي الله عنهم في الحبشة، كما أن إمكانية

معرفة الغرق أمر وارد ويكفي أنهم لم يصلوا الجزيرة ولم يعودوا إلى الحبشة، وإرسال النجاشي كتاباً إلى رسول الله ﷺ يمكن أن تتم معرفة ذلك عن الصحابة الذين كانوا في الحبشة أثناءها أو الوفود الحبشية التي جاءت إلى الجزيرة العربية بعد ذلك.

٤ ــ إن ربط المهاجرين بارتداد عبيدالله بن جحش مزيد من المغالطة في الموضوع، ومع أن عبيدالله هو الشخص الوحيد الذي ثبتت ردته حين تنصر إلا أن المصادر التاريخية الحديثة تولي اهتماماً كبيراً له، بل يحاول بعض المستشرقين وكتّاب الشرق الإسلامي إبراز هذه القضية بشكل يلفت نظر القارىء العادي حتى عبر البعض بما يوهم بأن عدد الذين تنصروا أكثر من واحد.

٥ ــ مما يدل على سطحية الكاتب في معلوماته قوله عند ذكر عودة الباقين من المهاجرين إلى الجزيرة العربية «ولم يكونوا يزيدون عن ثمانين». ومن المعلوم أن آخر دفعة لم تبلغ نصف هذا العدد الذي أشار إليه الكاتب جزافاً، كما أن ذكره السنة التي انتهى النبي ﷺ من فتح خيبر بأنها السنة الثامنة دليل آخر بعدم تحري الكاتب بالمعلومات التي يسجلها.

● **النموذج الثاني:**

وهذا نص آخر من النصوص التي يحاول صاحبه مناقشة كتب النبي ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة والنتائج التي ترتبت على ذلك، يقول الكاتب: «كان أول كتب النبي ﷺ إلى النجاشي في السنة السادسة للهجرة فأرسل إليه عمرو بن أمية الضمري بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام، ويذكر له أنه بعث إليه ابن عمه جعفر بن أبي طالب، ومعه نفر من المسلمين، وقيل إن النجاشي حين قرأ الكتاب كتب إلى النبي ﷺ وينكر بعض المحدثين رسالة النبي ﷺ إلى النجاشي واعتناقه للإسلام»[1].

لم يقدم إلينا الكاتب دليلاً واحداً لزعمه، ولم يذكر أسماء المحدثين

---

(١) عبدالمجيد عابدين، بين الحبشة والعرب، ص٨٢، دار الفكر العربي راجع «في دائر المعارف الإسلامية «موضوع الحبشة» ABYSSINIA»، المؤلف جويدي.

الذين ينكرون كتاب النبي ﷺ وإسلام النجاشي، ولا المصادر التي نقل منها تلك المعلومات، وإنما اكتفى بتلك الجملة العامة العابرة، إن مثل هذا الكلام ليس كلاماً علمياً، ولا يشبه كلام العلماء لأنه لا علاقة له بالأساليب العلمية التي من أولى أوصافها أنها تسند الأخبار إلى مصادرها ورواتها على الأقل إن لم يكن الناقل نفسه شاهد عيان لقضية بعينها. وهو ما خلى عنه هذا المقال، إذاً فلا يتعدى كونه كلاماً ممجوجاً تفوح منه رائحة الإهمال والاستخفاف بعقول القراء حيث لا يستند إلى عقل ومنطق، ولا إلى نقل يعتمد عليه.

وعلى فرض وجود مصادر أو مراجع نقل منها الكاتب هذه المعلومات. فلم يذكرها. وإن المحدثين الذين ينكرون كتب النبي ﷺ واعتناق النجاشي للإسلام من أين لهم هذه المعلومات، وكيف علموا ذلك، وكيف يردون على النصوص القاطعة التي ذكرنا طرفاً منها في المباحث السابقة، مع العلم بأن الأدلة التي ساقتها المصادر الإسلامية واضحة كل الوضوح لأنها تعتمد على روايات الشهود والمعاصرين، وخضع كثير من تلك الروايات للفحص الدقيق والتأكد من سلامة أسانيدها ومنها كما روت كتب الحديث ومنها أصح الكتابين بعد كتاب الله «البخاري ومسلم»، وهل ميزة هؤلاء المحدثين أنهم محدثون معاصرون لا يجوز لنا أن نسألهم الدليل والمصدر حيث يكفي أن يلقوا الكلام على عواهنه بدون حجة أو برهان، وبدون دليل واحد.

والاحتمال الوحيد المتبقي هو: إن كان هناك حقد دقيق لا يودون إظهاره بسبب أو بآخر، مما يجعلهم لا يثقون بالمصادر الإسلامية، ولا تسمح نفوسهم أن ينقلوا النصوص، وأن يعتمدوا عليها كمصادر تاريخية على أقل تقدير علماً بأن المصادر المتوافرة التي تعطينا كماً هائلاً من الأدلة، وتفاصيل دقيقة عن الحقبة التي عاش فيها النجاشي رحمه الله تعالى هي المصادر الإسلامية وحدها لا غير. فليس هناك بد لأي كاتب أن يرجع إليها إذا أراد أن يعرف العلاقات بين المسلمين في الجزيرة وبين الحبشة في عهد أصحمة نجاشي الحبشة في حياة رسول الله ﷺ فكيف تمكن المحدثون من الحصول على نصوص تخالف ما ورد في المصادر الإسلامية إلا إذا أراد أحدهم أن يكون

وضاعاً يفتري الكذب لخدمة أهداف غير نبيلة يضلل بها الأبرياء بلسان العلم والعلماء وبئس الوظيفة تلك.

● **النموذج الثالث:**

إن كثيراً من كتّاب العصر يتناولون موضوع الهجرة إلى الحبشة بطريق بعيدة عن أسلوب البحث العلمي يخضعون أبحاثهم لما تميل إليه نفوسهم غير عابئين بالأمانة العلمية التي يتطلب إليها البحث العلمي، ويلزم معها في كل خطوة من خطواته أياً كانت النتيجة في نهاية الأمر، ومن الملاحظ أن أكثر العصور تشدقاً وادعاء بالبحث العلمي والأمانة العلمية ومراعاة ما يتطلب ذلك من دقة في نقل النصوص وعزوها إلى مصادرها هي أكثرها بعداً عن ذلك، قد تلاحظ أن طائفة من الكتّاب تقصد إلى أسلوب التمويه والتضليل لكونها لا تكتفي بنقل الجمل كما وردت في الكتاب أو في المجلة أو غير ذلك، فأمامنا الآن كاتب من الكتّاب في البلاد العربية يناقش قضية الهجرة إلى الحبشة، وينتقد نصوصها ويدلي دلوه في هذا المعترك، فبعد أن ساق الكاتب جانباً من الحوار بين جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وبين وفد المشركين بحضور النجاشي جاء تعليقه كالتالي: «إلا أن بعض المؤرخين يتشككون في صحة ما ورد على لسان جعفر بن أبي طالب على أساس أن الصيام لم يشرع إلا بعد الهجرة إلى المدينة المنورة أي بعد هجرة المسلمين إلى الحبشة، ولذلك فبعضهم يعتبر هذه القصة موضوعة من أساسها، ومن ناحية أخرى فقد ورد في بعض المصادر، أن الذين قصدوا الحبشة لم يكونوا مهاجرين، بل كانوا على هيئة وفد، وقد حمل كتاباً من رسول الله ﷺ إلى النجاشي يدعوه فيه إلى الإسلام»[1].

ويقول الكاتب في فقرة أخرى: «وروى فيما بعد أن النبي ﷺ أظهر تأثراً بالغاً لدى سماعه بموت النجاشي سنة ٦٣٠ ميلادية وعبر عن حزنه بكلمات طيبة»[2].

---

(١) ممتاز العارف، الأحباش بين مأرب وأكسوم، ص ٧١، ط. عام ١٩٧٥ م، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

(٢) المرجع السابق، ص ٧٢.

كاد الكاتب يكذب الهجرتين والأحداث التي جرت فيها بصراحة فيا ليته فعل ذلك حتى يعرف قراء كتابه نفسيته المريضة، وتنكشف لنا الحقيقة، ولكنه ما زال يسلك سبيل المخادعين الذين ينكرون الحقائق بطرق ملتوية غير مستقيمة ليخدعوا قراءهم، فقوله: «يعتبر بعضهم هذه القصة موضوعة» كلام غير محدد، وتلك الصيغة من صيغ التعميم، وكثيراً ما تكون غير واقعية ولا أصل لها، فكان من الأجدر والأولى أن يذكر الكاتب هؤلاء البعض بصراحة ووضوح، لكي نقف على حقيقتها وحقيقة قائلها، لنقارن بعد ذلك بينها وبين الروايات الإسلامية التي ذكرناها، ونعلم قوتها سنداً ومتناً، ومن المعلوم بداهة أن المجهول يعمد عليه عند تقويم الأخبار سلباً أو إيجابياً لأنه مجهول لا يعلم عن حقيقة أمره شيء، ولكن لا تقبل روايته على أي حال، إما أن تكون القصة موضوعة أو غير موضوعة فلا يملك هذا الحكم أمثال ممتاز العارف لأنه ليس أهلاً لإصدار مثل هذا الحكم، وإنما المحدثون وفطاحل العلماء المختصين بعلم الجرح والتعديل هم الذين يعتمد عليهم، وقولهم هو الفيصل في الأمر. وقد قالوا رأيهم وأثبتوا صحة القصة ولم يرد ما يطعن فيها أبداً ولو خبراً واحداً، في التاريخ والسير والمغازي أو الأحاديث الواردة في هذا الشأن، فمن يريد أن يقف على حقيقتها فما عليه إلا أن يرجع إلى أيّ مصدر من مصادر الإسلام المعتمدة عليها، ولا يوجد ما يناقض ذلك في المصادر الأثيوبية أو غيرها حسب المعلومات المتوافرة لدى المحققين حتى الآن.

وكما عوّدنا الكاتب فقد أراد مرة أخرى أن يشكك أمر الهجرة بطريقة أخرى قائلاً: «فقد ورد في بعض المصادر أن الذين قصدوا الحبشة لم يكونوا مهاجرين.. إلى آخر ما هنالك».

ليس هناك تناقض بين أن يكونوا مهاجرين إلى الحبشة وأن يكونوا قد حملوا كتاباً من رسول الله ﷺ إلى النجاشي رحمه الله تعالى في مجمل القصة حدث الأمران معاً فلا سبيل إلى إنكار واحد منهما[1]. ومما يجعل المرء يقف

(١) لمزيد من المعلومات حول الهجرة الأولى راجع المباحث التالية:
١ ــ الهجرة إلى الحبشة.
٢ ــ المشككون في أمر الهجرة الأولى.

موقف المريب من هذا الكاتب وما كتب عن الموضوع عدم أمانته العلمية في النقل، انظر كيف عبر عن صلاة النبي ﷺ على النجاشي بعد موته مباشرة، لم يذكر الحقائق كما هي ولم يسكت عنها. بل لقد تعمد إلى إخفائها وحذف الجمل التي وردت في الموضوع، فقال: لقد حزن النبي ﷺ «وعبر عن حزنه بكلمات طيبة» لماذا لم يذكر الكاتب الحقيقة الماثلة أمامه، ولماذا لم يجد الشجاعة الأدبية والجرأة التي يقتضيها البحث العلمي؟ وأين الأمانة العلمية؟ وما هي الكلمات الطيبة التي عبر عنها المصطفى حزنه بموت النجاشي؟ يمكن القول بأن الكاتب لم يطلع على الأحاديث الكثيرة الواردة في كتب الحديث النبوي ولكن ذلك لن يكون عذراً مقبولاً وإن كان في ظني - وإن بعض الظن إثم - أنه قد اطلع على أقل تقدير على الأحاديث الواردة في نعي النجاشي والصلاة عليه، لأنه ذكر ما يدل على ذلك وهي إشارة واضحة على الصلاة والدعاء والاستغفار للنجاشي، وهي كلمات طيبة بل هي أقوال، وأفعال صدرت من الرسول ﷺ بمعية أصحابه، ومن نافلة القول أن نذكر بأن كتب التاريخ أوردت صلاة النبي ﷺ على النجاشي، أفلم يجد نصاً واحداً يدل على ذلك؟ أم هي اتباع الهوى وحب في التزوير، وإشباع رغبة جامحة لا تقاوم تهدف إلى تشويه التاريخ الإسلامي وإنكار ما ثبت باليقين القطعي؟ أم الاتجاه هو حب التقليد، تقليد المستشرقين وأعداء الإسلام المولعين في هدم الثوابت، وإنكار ما لا يجوز إنكاره في دنيا العلماء والعقلاء؟ فأياً كان اتجاه المؤلف، وأياً كانت عقيدته، وأياً كانت فلسفته في البحث العلمي أو إلمامه بالمصادر الإسلامية فإنه رجل عربي يعيش في الأوساط العلمية الإسلامية، ويدرك بأن المسلمين لا يقيمون صلاة الجنازة إلا على من مات مسلماً وما دام وقف على الكلمات الطيبة وهي صلاة الجنازة في الشريعة الإسلامية وإن استحى المؤلف عن ذكر اسمها صراحة، فليعلم بأن مثل تلك الكلمات الطيبة لا تقال إلا لمن شهد شهادة التوحيد ومات على ذلك.

● **النموذج الرابع:**

وأنقل إليك الآن نموذجاً من نماذج التشكيك يستخدم أسلوباً جديداً لنبذ الحقائق ووأدها باسم العلم والتحليل، يرتكب صاحبه أخطاء فادحة

مقتحماً أسوار الحقيقة وحصونها المانعة بالأوهام والتخمين، فبعد أن ذكر الكاتب الهجرة إلى الحبشة، والكتاب الذي أرسله النجاشي إلى رسول الله ﷺ المتضمن إسلام النجاشي علق الكاتب على الكتاب ما يلي: «بيد أنه يلوح لنا، أن القول بإسلام النجاشي مبالغة لا يمكن أن تحمل على ما أبداه من أدب ومجاملة في استقبال السفارة النبوية، ولو أسلم النجاشي يومئذ لكان الإسلام قد غمر الحبشة كلها، ولكانت النصرانية قد غاضت منها، بيد أن الإسلام لم ينتشر في الحبشة إلا بعد ذلك بعصر وكان انتشاره في الجهات الشرقية والجنوبية فقط»[1].

«لقد كان النجاشي مؤدباً ومجاملاً حقاً. ولكن كثيراً من الملوك غير النجاشي أبدوا أدباً رفيعاً ومجاملات في استقبال سفراء النبي ﷺ فلم تذكر المصادر الإسلامية المعتمدة أنهم أسلموا لأنهم تأدبوا وجاملوا بل نصت على إسلام قسم منهم ونصت على بقاء قسم منهم على دينه» ولم يكن للأدب والمجاملة أي دخل في الموضوع، وكمثال على ذلك، فإن أدب المقوقس مع سفير النبي ﷺ لم يكن أقل من أدب النجاشي، وأدبه في رسالته إلى النبي ﷺ لم يكن أقل من أدب النجاشي، ومجاملة المقوقس في هديته لم تكن أقل من مجاملة النجاشي إن لم تكن أكثر منها.

فقد كانت هدية المقوقس إلى النبي ﷺ عبارة عن جاريتين مارية وأختها، وبغلة شهباء، وحمار أشهب، وثياب من قباطي مصر، وعسل من عسل بنها.

أما هدية النجاشي إلى النبي ﷺ فكانت عبارة عن كسوة من قميص وسراويل، وعمامة، وعطاف أسواني ـ وخفين ساذجتين[2].

ومن الواضح أن مجاملة المقوقس في هديته لم تكن أقل من مجاملة النجاشي ولكن المصادر الإسلامية المعتمدة التي نقلنا عنها تفاصيل هدية هذين الملكين إلى النبي ﷺ ذكرت أن النجاشي قد أسلم وأن المقوقس لم يسلم

---

(١) مجلة الفيصل، العدد ٥٥، ص ٧١، سنة ١٤٠٢ هـ، نوفمبر ١٩٨١ م.

(٢) اللواء الركن محمود شيث خطاب، إسلام النجاشي، ص ١٤. راجع تاريخ الأمم والملوك للطبري ٢/٦٤٥.

فقالوا: «كتب النبي ﷺ إلى المقوقس عظيم القبط يدعوه إلى الإسلام فلم يسلم»[1] وهذا دليل على أن أدب النجاشي ومجاملته في استقبال السفارة النبوية لم يكونا وحدهما وراء النص بإسلام النجاشي الذي ورد في المصادر الإسلامية المعتمدة، فقد جامل غيره من الملوك وتأدبوا، فلم تنص تلك المصادر على إسلامهم، بل نصت على أنهم لم يسلموا»[2].

والجانب الثاني من التعليق هو محاولة خبيثة من الكاتب لإعطاء مصوغات. وذكر حجج عقلية تنفي إسلام النجاشي.

أ ـ قال الكاتب: «ولو أسلم النجاشي يومئذ لكان الإسلام قد غمر الحبشة» يشير إلى ضعف انتشار الإسلام في الحبشة أيام هجرة الصحابة رضي الله عنهم وقد قدمنا جانباً من الصعوبات البالغة التي واجهها النجاشي عندما أعلن إسلامه، ورأينا موقف رجال الدين من القساوسة والرهبان، لقد ثاروا ثورة عنيفة وحشدوا القوة ضد النجاشي لخوض المعركة الفاصلة بينهم وبين النجاشي، مما أقنع النجاشي بالتحايل والتريث في الموقف، وحياة النجاشي وحياة عائلته والمعاناة التي تكبدوها بأيدي رجال الكنيسة أمر مشهور في السيرة، وقد ذكرنا بعضاً من ذلك، والنتيجة هي أن النجاشي كان يواجه عقبة كبيرة لو جاهر بالتوحيد، وأعلن إسلامه أكثر مما فعل، ومع هذا فقد رأينا في المباحث السابقة أنه نشر الإسلام بين مؤيديه وأنصاره الذين يحيطون به فأسلم بعضهم مما لا يترك مجالاً للشك بإسلامه وإسلام عدد من الأحباش في حياته كما ذكرت كتب السير والتاريخ، ومن جهة أخرى لا يعني عدم انتشار الإسلام بصورة واسعة وعظيمة في الحبشة بعدم إسلام النجاشي في أي وجه من الوجوه، لأن القلوب بيد الله والهداية من الله وليس بيد أحد من مخلوقه عز وجل. مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾[3].

---

(١) راجع الطبري ٢/٦٤٥.

(٢) اللواء الركن محمود شيت خطاب، إسلام النجاشي، ص ١٢ ـ ١٣، ط. عام ١٤٠٨ هـ.

(٣) سورة القصص: الآية ٥٦.

ب ـ «ولكانت النصرانية قد غاضت منها». لقد انتشر الإسلام في بلاد نصرانية كثيرة منذ القرن الأول الهجري، وكان انتصاره في بعضها واسعاً جداً حيث حكم مباشراً، وأحدث تغيرات جذرية في الثقافة والعلوم وحلت اللغة العربية محل اللغات المحلية ومع هذا كله لم تغض النصرانية ولم تتهدم كنائسها، ولم تندثر معالمها حتى يومنا هذا، ومن تلك البلدان الشام ومصر وأجزاء من العراق وأجزاء من المغرب العربي وغير ذلك كثير وتلك طبيعة الإسلام التي لا تفارقه أبداً لأنه حرم الإكراه في الدين واستعمال القوة الغلابة لتحقيق رغبة المؤمنين في أن يسلم الجميع، بل جعل مناط العقيدة في القناعة الذاتية بدون أدنى ضغط يمارسه طرف آخر خارج عن إرادته ورغبته، يقول الله عز وجل: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1].

فالإسلام يعطي الأفراد حرية في اختيار عقيدتهم مهما تكن الظروف وليس كما يتصور الجاهلون عن أحكامه ومبادئه العامة ولأحكامه الموضوعية لغير المسلمين الذين يعيشون في ظل الحكم الإسلامي وعدالته المطلقة[2].

فليس الأمر كما يقول الحاقدون بأن الإسلام قد انتشر بالسيف وحده، كما أنه ليس هناك شبه بين حكام المسلمين الذين يأتمرون بأمر الله عز وجل وبين حكام النصرانية الذين اشتهروا بالقسوة البالغة والقمع الدموي والإبادة الجماعية ضد المخالفين في العقيدة والرأي، ومحاكم التفتيش في العصور الوسطى برهان ناطق، ولعل أمثال هذا الكاتب يستقون هذه المفاهيم من الذاكرة الأوروبية التي لا تؤمن بالتسامح الديني نظراً لما ارتكبته الكنيسة ورجالها، اقرأ معي الجمل التالية لترى بعد ذلك نظرة المفكرين الأوروبيين إلى الدين بأنها نابعة أصلاً من معاناتهم والممارسات الخطيرة التي أدت إلى الجفوة بين الشعوب

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

(٢) راجع الموسوعة في سماحة الإسلام، تأليف محمد صادق العرجون. والعدالة الاجتماعية في الإسلام لسيد قطب.

والكنيسة، إنهم يسبحون في بحر من التيه ويضعون خير القرون الإسلامية بجانب شر القرون التي اشتهرت في التاريخ الأوروبي بالقرون الوسطى والقرون المظلمة والتي بلغ التعسف مبلغاً خطيراً.

«وقد قيل أن عهد شارل الخامس شهد استشهاد نحو ثلاثين ألف رجل وامرأة في المقاطعات السبع عشرة في سبيل معتقداتهم شوهت أجساد بعضهم بنار بطيئة، وأحرقوا أحياء، أو اغرقوا في اليم، أو نزلت بهم أساليب أخرى من التعذيب الأليم»[1].

إن الذين يقولون لو دخل الإسلام في الحبشة أو أسلم ملكها لاختفت النصرانية يتخيلون بأن حكام المسلمين مثل شارل الخامس ولكن الصورة تختلف تماماً عما في أذهانهم، وخاصة أن ذلك القرن من القرون المفضلة.

«وذلك هو مبلغ تهافت محاولة الأجانب إثبات عدم إسلام النجاشي كما جاءت في المراجع الأجنبية، والذي تسرب بالعدوى إلى المراجع الإسلامية كما يتسرب الوباء، وذلك هو مبلغ تفاهة تلك المحاولة، يفضح مبلغ حقد مؤلفي تلك المراجع على الإسلام والمسلمين، ومبلغ تعصبهم لليهودية والنصرانية، وإخلاصهم للاستعمار القديم والجديد، فيرفضون بتعصب وعصبية كل خبر لمصلحة الإسلام والمسلمين، ويشككون بالمصادر الإسلامية المعتمدة ليصفوا الجو لمراجعهم المنحازة المتحيزة غير الأمينة، التي تضم بين دفتيها الجهل والدس والتشكيك الكثير، والعلم والصدق القليل»[2].

● النموذج الخامس:

وأختتم هذه الفقرة ما قاله أحد المستشرقين عن الهجرة وإسلام النجاشي بإيجاز شديد، وهو ترمنجهام، يقول حول مناظرة جعفر: «لقد استدل جعفر جملاً من القرآن الكريم والتي تظهر بأن الإسلام شكل من أشكال المسيحية» وفي مكان آخر قال: «ومهما يكن فإن بعض اللاجئين ـ يعني المهاجرين إلى الحبشة ـ قد أصبحوا مسيحيين، وهذا بالطبع هو أول تحول من

(١) هربرت فيش، أصول التاريخ الأوروبي الحديث، ص ١٣٧، ط. الثالثة.
(٢) إسلام النجاشي، اللواء الركن محمود شيث خطاب. ص ١٧.

الإسلام إلى المسيحية» وفي موضع آخر من المصدر نفسه قال: «إن عبيدالله بن جحش واحد من الذين اعتنقوا المسيحية» ويقول مرة أخرى: «لقد ظهرت صورة ملك الحبشة ـ النجاشي ـ ضمن قائمة ملوك المسلمين في قصر الوليد عام ٧٠٥».

فمنذ ذلك الوقت وحتى الآن لم يذكر المؤرخون المسلمون أية جملة ويمكن أن يكون تصوير النجاشي بأنه أسلم في حياة محمد ﷺ ضرباً من الخيال[1].

إن الآيات التي قرأها جعفر في المناظرة كانت من سورة مريم، فإن كان ترمنجهام يقصد من وراء كلامه بأن الآيات أظهرت كون الإسلام جزءاً من المسيحية التي يؤمن بها أهل النصرانية فمستبعد جداً، بل أظهرت الآيات خلاف ما يعتقدونه لأنها ذكرت بأن عيسى عبد الله ورسوله، وليس إلهاً يعبد، وهذه هي جوهر القضية بين الإسلام وبين النصرانية المحرفة، فهل قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾ يؤيد ألوهية عيسى بأيّ شكل من الأشكال؟ طبعاً لا. إذاً ما معنى قوله في الفقرة السابقة؟ لعله يحاول طعن الإسلام ويوهم بأن الإسلام أخذ من النصرانية وإن محمداً اقتبس من الأناجيل، كما هي عادة الجاحدين من أهل الكتاب وغيرهم. وهذا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾[2].

أما إذا كان هدفه بالنصرانية التي أنزلت على عيسى عليه السلام فليس لدى الأستاذ ترمنجهام أي معرفة لأن الشعوب الأوروبية لم تدخل الدين النصراني إلا بعد التحريف والتبديل بأيدي اليهود الآثمة الذين يحاولون هدم المعتقدات والقيم البشرية.

---

(١) J. S. Trimingham, Islam in Ethiopia. P. 45 - 46. Third Impression 1976.
ترمنجهام، الإسلام في أثيوبيا، ص ٤٥ ـ ٤٦.

(٢) سورة النحل: الآية ١٠٣.

لقد تنصر عبيدالله بن جحش زوج أم حبيبة كما روت لنا أم حبيبة رضي الله عنها ومات في أرض الحبشة منكباً على الخمر. إن كان هذا يشرف في النصارى أمثال ترمنجهام أو يجوز التفاخر في أمثاله، ما قيمة مرتد أهلك نفسه بشرب الخمر حتى فارق الحياة؟ فردة عبيدالله حقيقية، ولكن الغريب في الأمر هنا هو العبارات التي يستخدمها ترمنجهام، وكلها توهم بأن عدداً من الصحابة قد ارتدوا واعتنقوا النصرانية فقوله: «إن بعضهم قد أصبحوا مسيحيين» يهدف إلى إثبات حدوث ردة كبيرة بين المهاجرين، والذي يوضح هدف هذا المفتري قوله: «إن عبيدالله واحد من الذين اعتنقوا النصرانية» فمن هم الآخرون الذين تنصروا كما يوهم الكاتب؟ إن أحداً من المستشرقين أو تلامذة المستشرقين في الغرب أو الشرق لا يستطيع ذكر شخص آخر قد افتتن وارتد عن دينه من بين المهاجرين، إنه الوحيد الذي ذكرته الروايات الإسلامية، ويعتبر حدث عابر ليس له تلك الأهمية التي يحاول أعداء الإسلام إعطاءه، ولكي تدرك النوايا السيئة والحقد الفاضح لدى الكاتب.

اقرأ كتاب «الإسلام في أثيوبيا» ستجد أنه تناول قضية الهجرة إلى الحبشة بطريقة غير نزيهة وغير أمينة، وأغرب ما في الموضوع أنه عندما تحدث عن المناظرة بين المؤمنين والمشركين وذكر نتيجة المناظرة والأحداث البارزة في نهايتها لم يشر إلى تأثر النجاشي بالقرآن والبكاء الذي أبكى الجميع وإعلانه الصريح بأنه يؤمن بما جاء من عند الله وما أنزل على محمد ﷺ، وكان موقف النجاشي هذا أكبر حدث نتج عن المناظرة والحوار، فلماذا قفز على هذه القضية؟ ولماذا لم يشر إليها ولو بصورة موجزة؟ أم أن نفسه لا تطيق ذكر إسلام ملك نصراني، وبإمكانك أيها القارىء أن تقارن بين المبالغات والافتعالات حول قضية عبيدالله الذي تنصر، وكيف أنه يحاول ذكر أعداد خيالية لا وجود لها، وهذا وضع الأخبار الكاذبة، والافتراء والتجني على الحقيقة أياً كان مصدرها، قارن بين هذا وبين إسلام النجاشي الذي جاء بأخبار متواترة، حيث ورد إسلامه في أصح الكتب بعد كتاب الله عز وجل وفي الروايات التاريخية الصحيحة، ومنها الرواية التي اعتمد عليها هذا المستشرق، ولكنه لم يذكر إسلام النجاشي أبداً بل تجاهل تجاهلاً تاماً عن كل ما يتصل بإسلامه وهذا لا يليق لأمثاله،

ولكنها الكراهية والبغضاء التي تكن بها القلوب المريضة دائماً وأبداً للحق وأهله في كل عصر ودهر، هؤلاء لا ينصاعون للأدلة العقلية لأن أفكارهم مهيأة لغير هذا، معدة لمقاومة الحق والحقيقة إذا خالفت هواهم وما أروع التصوير القرآني لنفسية هؤلاء إذ يحذر الركون إليهم والاطمئنان نحوهم حتى لا يصاب المؤمنون بشر مستطير إذ يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۖ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[1].